

على خدمته، تصبح هي التي تحدد له إيقاع حياته . وإنتاج السلع الذي كان يهدف إلى إسعاده، يصبح هدفاً في حد ذاته يوظفه ويحوسله (أي يحوله إلى وسيلة) . . وكما أسلفنا القول يصبح الهدف من الإنتاج هو زيادة الاستهلاك، والهدف من الاستهلاك هو زيادة الإنتاج .

٨- ومع ازدياد إنتاج السلع، يزداد التسلع والتشبيهُ، بحيث تصبح العلاقات بين البشر هي علاقات بين أشياء ذات قيمة تبادلية . ولذلك يصبح عالم الإنسان المفعم بالمعنى خالياً تماماً من المعنى، فحياته الإنسانية حياة شيئية، فهي دال دون مدلول، وحركة الأشياء (السلع- الأموال . . . إلخ) هي الحركة (الإنسانية) الوحيدة، أو المرجعية النهائية للحركة الإنسانية . ويمكن القول إن أزمة المعنى في جوهرها هي اكتشاف الإنسان الغربي أن حياته دال بدون مدلول، حركة بلا معنى . ويصل هذا الاتجاه إلى ذروته في الترشيد الإجرائي وفي أخلاقيات الصيرورة، أي التزام جميع الأطراف بقواعد اللعبة وبالإجراءات دون الانفاق على الهدف النهائي منها، أي أنه التزام بالدال دون المدلول، وبالحركة دون الغاية، وبالفعل والإجراءات الأداة دون الهدف .

٩- وتصل العبثية إلى قمته في صناعة السلاح، فقد أنتج العالم المتقدم أسلحة تكفي «لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات»، وهي عبارة لا دلالة لها على الإطلاق، إذ لا يمكن تدمير الكرة الأرضية أكثر من مرة! وأهم صناعة «إنتاجية» في العالم الآن هي صناعة السلاح، أي أن «أهم أشكال الإنتاج» هو إنتاج «أشكال الدمار»، وهي عبارة لا دلالة لها، من منظور إنساني . ومؤخراً، أصبح من المعتاد أن تنتج دولة سلاحاً رهيباً، أو تشرع في إنتاجه وهي تعلم مسبقاً أنها لن تستخدمه، ولكنها تنتجه حتى يعرف العدو أنها مستمرة في إنتاجه . فإنتاج السلاح مثل إنتاج السلع أصبح تقريباً نهايةً في حد ذاته، وخصوصاً أن الاقتصاد الغربي أصبح اقتصاداً يستند إلى إنتاج السلاح . ورغم انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال السبب الأساسي للحرب، فإن مصانع الأسلحة لا تزال تدور بكل كفاءة